كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

ثقافة المشاركة

طريق المنفعة العامة والمجتمع المتلاحم

تأليف:

بيث بوزينسكي

35

في ثوانٍ...

يسعى الإنسان جاهداً وفي جميع مراحل حياته لتحقيق السعادة له ولمن حوله، وإلى إقصاء الأذى أو الضرر بكافة أشكاله، عن حياته الشخصية وعمله وعلاقاته مع الآخرين. ولا شك أن الإيجابية بكافة أشكالها هي السبيل الوحيد لتحقيق ذلك. فمن خلالها نتمكن من تحقيق الأفضل لأنفسنا والنجاح بعملنا وفي كافة مجالات الحياة. لكن يجب أن تشمل الإيجابية طريقة التفكير وأسلوب الحياة ونظرتنا لأنفسنا والآخرين. فمعها ننجح بعلاقاتنا مع الآخرين ونتقن فن المشاركة الإيجابي، ونسهل ترتيب وإنجاز مهامنا اليومية وتحقيق مشاريعنا مهما كانت مزدحمة. ومن خلال قوة التفكير الإيجابي نتمكن من تغيير نظرتنا للحياة وتحويل المشكلات إلى فرص.

وليس هناك أبلغ من تعبير صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي "رعاه الله" عن الإيجابية عندما قال " إن التحلي بالطاقة الإيجابية والإصرار على توظيفها في مساقات الحياة هو المقوم الأول للنجاح والتميز، كونه الباعث على الإبتكار والمحفز على قهر التحديات واكتشاف الفرص وتسخيرها بأسلوب فاعل يضمن للإنسان رقيه وللمجتمع تقدمه ورفعته".

ومن فكر حاكم دبي نستقي نحن أيضاً في مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم الإيجابية في كافة مشاريعنا، خاصة ونحن نحتفل اليوم بمرور عام على إطلاق مبادرة "كتاب في دقائق"، التي ساهمت إيجابية تفاعل الجمهور معها في نجاحها واستمراريتها، وفي تحفيز المؤسسة بشكل دائم على تقديم أفضل النتاجات الفكرية لأهم الكُتاب من حول العالم، والتي تغذي العقل والروح معاً. كما شكلت الطروحات الإيجابية لموضوعات الكتب معياراً أساسياً في اختياراتنا الشهرية، لذا نحن نعد الجميع أننا سنبقى بهذه الروح الإيجابية وسنعمل من خلالها على تطوير المبادرة لما فيه من فائدة ومنفعة لجميع أفراد المجتمع.

وتسلط الدفعة الجديدة للمبادرة الضوء على قضايا تتطلب الإيجابية بشكل ما، وتتناول ثقافة المشاركة كنشاط إيجابي يمارسه البشر منذ الأزل، وموضوع آليات التعامل مع المهام اليومية، إلى جانب قوة التفكير الإيجابي في تغيير حياة الناس والفرق بينه وبين التفكير السلبي.

الكتاب الاول الذي يحمل عنوان "ثقافة المشاركة طريق المنفعة العامة والمجتمع المتلاحم" للكاتبة بيث بوزينسكي، يسلط الضوء على تاريخ سلوك المشاركة الذي يسمح من خلاله الشخص للآخر باستخدام واستثمار ممتلكاته ومقتنياته لسد حاجة أو غاية، ومدى ارتباطها بتطور حضارة الإنسان. وأوضحت الكاتبة في هذا الكتاب المزايا المباشرة للمشاركة، والمتمثلة في دعم الاقتصاد المحلي، وحماية البيئة بالحد من الاستهلاك، وتوفير المال. فيما قسمت أنماط المشاركة إلى المشاركة الندية، والمشاركة الندية الشبكية، والمشاركة المهنية. محددةً العناصر القابلة للمشاركة بكل من: السلع، والمهارات، والوقت، والسكن، والمواصلات، والطعام، والمكان، والمال.

ومن خلال كتاب "إعادة الاعتبار لقائمة أعمال اليوم، دليلك المفيد للعمل بلا تعقيد" للمؤلف: إس جي سكوت، نتعلم تقنيات تنظيم الوقت اليومي بحيث نستطيع أداء كافة المهام المطلوبة في الوقت المحدد، وأساليب إعداد القوائم اليومية والالتزام بها، وكيف يمكن أن نعيد التفكير في قائمة الأعمال التي نضعها. ويوضح الكاتب الأخطاء الشائعة في إدارة قوائم المهام، ويجملها في كتابة قوائم مطولة، والغموض، والفشل في تقدير الوقت، والتركيز على النتائج السريعة، إلى جانب عدم ربط المهام بالأهداف، والسماح للإحباط بالتسلل إلى نفوسنا. ووضع سكوت عدة استراتيجيات تساعدنا في رفع مستويات الطاقة للقيام بالمهام، تشمل تدوين المعوقات المحبطة، والبدء بسرعة، ووضع خطة لكل عقبة، والتفكير في العائد.

وينقلنا الكتاب الثالث "قوة التفكير الإيجابي، غير نظرتك تتغير حياتك" للكاتب: جيف كيلر، إلى عالم التوجهات الفكرية التي نطل منها على الحياة، وكيف يحدد نمطنا الفكري أو توجهنا الذهني أُطر حياتنا. حيث يركز الكاتب على أهمية التفكير الإيجابي في تحقيق النجاح، وتحويل التحديات إلى ايجابيات. كما يوضح الفرق بين التفكير الإيجابي والسلبي، وكيف يمكن أن يصبح الإنسان مغناطيساً يجتذب الأهداف من خلال التفكير الإيجابي. ويلخص الكاتب الطرق التي تجعلنا إيجابيين من خلال النظر إلى الأمور بحجمها الطبيعي ومواجهة المخاوف بنضج، والنزول إلى أرض الواقع وتقبل الفشل في بعض الأحيان.

وفي النهاية نتمنى أن تحوز الدفعة الجديدة للملخصات مبادرة "كتاب في دقائق" إعجاب القراء، وتقدم لهم ولعائلاتهم الفائدة القصوى في كافة جوانب حياتهم.

جمال بن حويرب

العضو المنتدب لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

تاريخ المشاركـــة

المشاركة نشاط إنساني إيجابي يمارسه البشر منذ قديم الأزل فكلنا نشارك ونتشارك وهذا ما أفعله أنا، وتفعلينه أنتِ، وتفعلُه أنت. المشاركة هي أن يسمح كل منا للآخرين باستخدام واستثمار ممتلكاته ومقتنياته، إما لسد حاجة أو لتحقيق غاية.

وترتبطُ المشاركةُ ارتباطاً وثيقاً بتطوُّر الحضارة الإنسانية على مدى تاريخ البشرية. وليست المشاركة نشاطاً إنسانياً محضاً كما قد نتصور فكل الكائنات تتشاركُ وتؤدي بفطرتها الغريزية وتحقق نتائجَ عظيمةً بسبب تفعيلها الدائم لعنصري المشاركة والتعاون الجماعي وذلك بتقسيم المهمَّات والموارد والتوازن في العلاقات. فكِّر في: كيف تحلق أسراب الطيور، وكيف تندفع أمواج الأسماك في البحور؛ وفكِّر في خلايا النحل وتلال النمل؛ التي تُجزِّئ المهمَّات ليتقاسمها جميع أعضاء الخلية فتعمُّ المنفعة على الجميع. وكذلك هو الإنسان فنحن مبرمجون بالفطرة لنجزل العطاء ونمارس المشاركة. ورغم متطلَّبات العصر الحديث التي تطغى أحياناً على فطرتنا النبيلة وإيجابياتنا الجميلة وتستبدل بها المنفعة الشخصية والأنانية وحب الاستحواذ، فما زال بيننا من يناضلون بأشكال متباينة ليصمدوا في وجه تلك الإغراءات.

إن كنت ممن يستعيرون الكتب أو يستأجرون الشقق، فإن مفهوم "مشاركة الموارد" سيكون مألوفاً لك. لقد طرحت التكنولوجيا الحديثة – وما صاحبها من تطوُّر في أساليب التواصل – فرصاً جديدة للتعاون والمشاركة بطرق لم تكن معهودة من قبل؛ إذ تغلَّبت الآليات الحديثة على أوجه العجز والقصور التي شابت أساليب المشاركة فيما مضى والتي حدت بالحضارات القديمة إلى التخلِّي – في مرحلة ما – عن المشاركة كأسلوب حياة.

القيمة المضافة للمقايضة

المشاركة من أهم المبادئ الإنسانية التي تُحسِّن معيشتنا وتثري قيمنا وتضمن بقاءنا واستمرارنا. فقد حرصت المجتمعات القديمة على إعلاء قيمة التعاون وتحفيز الأفراد لتبنِّي السلوكيَّات والمناهج التي تصبُّ في صالح المجتمع ككل وتُعلي قيمة الجماعة على الفرد. حتى أخذ مفهومُ المصلحة المشتركة يتطوَّر فظهر نظام "المقايضة". من خلال عمليات المقايضة تمكِّن الأفراد من استبدال عناصر ذات قيمة بأخرى هم في غنى عنها. أي أنَّ فكرة المقايضة قامت على مبدأ: "لديَّ ما تحتاجه ولديك ما أحتاجه فلمَ لا نقايض هذا بذاك؟" فبعدما انتقل الإنسان من مجتمع الجمع والصيد إلى مجتمع الزراعة صارت الماشية أشهر عملات المقايضة فصار لكل نوع معيَّن من الأبقار قيمة ثابتة ومتعارف عليها. ومع التوسُّع السكاني وما صاحبه من تعقيد في الاحتياجات أصبح من الصعب استخدام تلك الآلية المُبَسَّطة فظهرت الحاجة إلى معيار ثابت وأسهل حملاً ونقلاً من الأبقار. فاستخدمت الأصداف البحرية والخرز والقمح كعملات مختلفة القيمة. لقد تعلمنا من تلك العملات البسيطة درساً مهماً وهو أنَّنا نحن الذين نصنع القيمة. يتضح ممَّا سبق أنَّ الاتفاق الجماعي من أهم عناصر إضفاء القيمة المضافة للعملة. ثم اندثرت بعض هذه القيم التي تقوم على دعم الاقتصاد المحلِّي بالاعتماد على العملات البديلة والمُكمِّلة. وقد تمخَّض النجاح وحجم التداول الذي حقَّقته هذه العملات عن نزعة جماعية للتخلِّي عن الأنظمة الاقتصادية القائمة آنذاك.

الاستهلاك التعاوني

يأتي بعد ذلك عصر الاستهلاك التعاوني أو اقتصاد المشاركة، والذي يقوم على اعتقاد أنَّ العالم غنيٌّ بالثروات والموارد التي من شأنها أن تلبِّي احتياجاتنا وتضمن لنا حياة سعيدة. تلك الثروات إمَّا أن تكون مهدرة أو خاملة إن لم تجد من يستثمرها على أكمل وجه. ففي حين أنَّ السلوكيات القائمة على المشاركة والتعاون، اقتصرت فيما مضى على المجتمعات المغلقة إلا أنَّ عصر الانفتاح الذي نشهده الآن بفضل التكنولوجيا ومواقع التواصل الاجتماعي قد أتاح لنا فرصة نادرة لنطبِّق هذا النظام على أوسع نطاق ونضيف إليه المزيد.

العملـــة البديلـــة

"البيركشيرز" أو العملة البديلة هي عملة محلية متداولة في منطقة "بيركشير" في ولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية. ووفقاً للنظام في تلك المنطقة فإن الـ 95 سنتاً من عملة البيركشيرز تعادل دولاراً أمريكياً واحداً. وتتم عملية الاستبدال من خلال 12 مصرفاً محلياً وعبر 370 منفذاً تشمل المطاعم ودور الحضانة والشركات، وغيرها من مرافق وخدمات محلية. وقد تمَّ إصدار ما يزيد على 2.5 مليون ورقة مالية من هذه العملة منذ عام 2006 حتَّى الآن. ويشير الموقع الرسمي المسؤول عن إصدار العملة إلى أنَّ هدفها هو توفير بديل للعملات التقليدية لا أن تحلَّ محلَّها؛ إذ يقول أحد المسؤولين:

"يتخذ مستخدمو هذه العملة قراراً واعياً بإعلاء قيمة المنتج المحلي أولاً؛ أي أنَّهم يتحمَّلون على عاتقهم مسؤولية تلاحم مجتمعهم من خلال وضع أساس صلب لاقتصاد محلي نشط ومنتعش."

ومن المتوقَّع أن يتسع نطاق تداول هذه العملة ليشمل إنشاء الحسابات المصرفية وتسهيل التداولات المالية الإلكترونية والإقراض طويل الأجل لتحفيز التصنيع والإنتاج المحلي.

كيف لا نتشارك

المشاركة بسيطة في جوهرها لأنها من أوائل الدروس التي نتلقَّاها في مقتبل حياتنا لكنها ليست درساً سهلاً. ويشكِّل الأطفال نموذجاً حياً للطبيعة البشرية المعطاءة، ولنتأمل هذا الموقف:

"يحتضن خالد لعبة جديدة وياسر يرمقه من قريب. وأمام خالد الآن ثلاثة خيارات:

- إما أن يتشبَّث بلعبته ويصرخ مدافعاً عن حقِّه في اللعب بها وحيداً،
- أو يلعب بلعبته القديمة حتى يحصل ياسر على لعبة جديدة أيضاً،
- أو يقرِّر أن يتشاركا ويلعبا ويستمتعا معاً.

في العادة ينزع الآباء إلى دفع أبنائهم نحو الخيار الأخير استناداً إلى مبدأ المشاركة غير المشروطة. وهذا المثال لا يسلِّط الضوء على طبيعة النفس البشرية فحسب، وإنَّما يوضِّح كيف تقودنا الأنانية والاستحواذ إلى السعادة "المؤقَّتة" بينما تقودنا المشاركة إلى سعادة "دائمة" للجميع.

إلا أن مفهوم المشاركة يزداد تعقيداً كلَّما تقدَّم بنا العمر إذ تختلفُ نظرتُنا إلى قيمة الأشياء وندركُ قيمةَ الجهد المبذول لاقتنائها. وفي كثير من الأحيان نختلق الأعذار والمبرِّرات لتصرُّفاتنا الأنانية – حتَّى وإن أنكرنا ذلك جملةً وتفصيلاً. فكثيراً ما تتحوَّل المشاركة إلى ما يشبه "التحايل" الذي ينتهجه نفرٌ من "المتكاسلين" ليقتنصوا نصيبهم من مكاسب "المجتهدين." ومن هنا نبدأ في تصنيف الأشياء ما بين مُستخدَمٍ وقديم لنضعها في مرتبة أقل من كلِّ ما هو جديد ونادر وباهظ الثمن. وربَّما نتمادى في كثيرٍ من الأحيان لنقيس نجاحنا في الحياة بحجم ما لدينا من ممتلكات ومقتنيات – وبقيمتها؛ مقارنةً بزملائنا وجيراننا. ولمثل هذه الأسباب تتضاءلُ قيمةُ المشاركة يوماً بعد آخر، إلى أن تصبحَ فكرة مستهلكةً وغيرَ واقعية فلا يمارسها غير الأطفال بينما يغرق الحكماء الكبار في عالم التنافس الذي يطلقون عليه أحياناً "التعافس" أو (التعاون التنافسي) من قبيل التهكم أو لتسمية الأشياء بغير مسمياتها. فلا عجب إذن أن نتَّخذَ من "البيع والشراء" أسلوب حياة ونتناسى أنَّ هناك أسلوباً أفضل وأعم وهو المشاركة التعاونية.

لماذا لا نتشارك

نستطيع أن نرى الآن وبكلِّ وضوح كيف أن الاستهلاك المبَّذر والمتهوِّر يكاد أن يدمِّرَ كوكبنا واقتصادنا ورخاءنا. وحتى عندما تحدونا رغبةٌ في التغيير فثمَّة ما يعوق تقدُّمَنا ويقوِّض محاولاتنا. فالنفس البشرية لا تميل إلى تقبُّل التغيير بل تتجنَّبه خوفاً من احتمالات الفشل. رغم أننا لن نجدَ مناصاً ولا خلاصاً من دوَّامة الاستهلاك المتهوِّر وما يصحبه من سلبيات إلا بتبنِّي سلوكيات جديدة والتخلُّص من المعتقدات البائدة التي لا تنطوي على أية فائدة. وتأتي المشاركة في مقدمة هذه السلوكيات باعتبارها البديلَ الأمثل للاستهلاك المتهوِّر والذي لا يتطلب تنازلاً عن مستوىً معيشيٍّ معيَّن أو التضحية الدائمة في سبيل الآخرين. ورغم إيماننا الدفين بأهمية هذا البديل فإنَّنا لا ننفكُّ نختَلِقُ الأعذارَ التي تحول بيننا وبين التعاون التشاركي. وهذه بعض المعوقات التي تحول بيننا وبين تبنِّي التغيير:

◆ الوقت

"أنا مشغولٌ للغاية وليس لديَّ ما يكفي من الوقت" هذا هو العذر الأكثر شيوعاً والذي يجري على ألسنتنا تلقائياً بمجرَّد أن يُطلبَ منَّا بذلُ القليل من الجهد. ولكن المشكلة لا تكمن في افتقارنا للوقت وإنَّما في عدم قدرتنا على إدارة الوقت بفاعلية. فبمجرَّد أن تطرحَ البدائلُ القائمةُ على المشاركة نتهرَّب ونتحجَّج اعتقاداً منَّا بأنَّه ليس لدينا ما يكفي من الوقت والجهد. بالطبع يتطلَّب قرار المشاركة جهداً ووقتاً من جانبنا ولكن أليس هذا حال كلِّ عملٍ يحدوه أملٌ في الحياة؟

◆ الأمان

نحن مبرمجون بطبيعتنا وفطرتنا للبحث عن سبل البقاء مما يدفعنا لاتخاذ كلِّ الاحتياطات والتدبيرات التي تكفل لنا الصحَّة والأمان. فتجدنا -على سبيل المثال- نحبِّذ قيادة سياراتنا الخاصة وشراء الأشياء الجديدة كلياً والتي تمنحنا القدرة على صياغة توقُّعاتنا الخاصَّة وتجعلنا أسياد الموقف والمتحكِّمين في زمام الأمور. ويشكِّل الخروج عن هذا الإطار المألوف خروجاً صريحاً عن دائرة الأمان الخاصة بكلٍّ منَّا. فالبقاء في منزل أحد الأصدقاء – في مقابل حجز غرفة في فندق – على سبيل المثال يعني أنَّنا قد نضطرُّ إلى الالتزام بقوانين المنزل الخاصة، والتي من الممكن ألاَّ تلائمنا – كتناول أطعمة لا تروق لنا أو في مواعيد مغايرة لما اعتدناه. وكذلك الحال حين نرتضي أن يصطحبنا أحدهم في طريقه إلى مكان ما فعندها قد نُجبَر على تغيير جدولنا الزمني وفقاً لجدول هذا الشخص. باختصار شديد تتطلَّب منَّا المشاركة تبنِّي بعض الخصال – كالمرونة والثقة بالآخرين – والتي في حدِّ ذاتها قد تجعلنا عرضة للأرق – كمثال المنزل أو التوتُّر أو السيارة أو ربَّما الخطر – فمن منَّا يودُّ أن يعرِّض نفسه لمواقف غير مألوفة يصعب عليه التحكُّم في كلِّ متغيِّراتها. وعلى هذا الأساس نبني معتقدنا بأنَّ المشاركة تجعلنا أقلَّ أماناً ممَّا نحن عليه الآن. ورغم ذلك ليس هناك ثمَّة دليل قاطع على صحَّة هذا المعتقد. فمن بين ملايين الصفقات، والمبادلات وعمليات المشاركة التي تدور على مدار اليوم، قلَّما تجد منها ما يخرج عن نطاق السيطرة أو يتحوَّل إلى كارثة. أي أنَّه لايزال هناك الملايين حول العالم يثقون بقيمة المشاركة ويتقنون إدارتها بشكل مجدٍ للجميع.

◆ المـــال

حين يفكِّر بعضنا بأنَّ التعاونَ في تعميم المشاركة وبناء مجتمع قائم على التلاحم بالمشاركة يحتاج إلى إنفاق المال فإن هذا يثنيهم عن مجرد المحاولة، ولكنَّهم يغفلون في هذا عن أنَّ المال ليس المقياس الوحيد للقيمة. فنحن نحبِّذُ استئجارَ غرفةٍ في فندق بدلاً من النزول لدى أحد الأقارب أو الأصدقاء في مدينة ما، ولكن هل بإمكان الفندق أن يوفر لنا أفضل الأطعمة المحلية، أو يذكرنا بتاريخنا التليد وعاداتنا وتقاليدنا الرائعة وما إلى ذلك من خدمات ومشاركات لا يقدمُها سوى أبناء جلدتنا؟ هذا هو جوهر المشاركة وتلك هي قيمتها التي لا تساويها أموال ولا تزنها مقاييس وقوانين إدارة الأعمال.

◆ الثقة

لا يختلفُ استخدامُ الآخرين – ولا استعمالهم – لأدواتك الخاصَّة عن استخدامك أنت لأغراضهم فكلاهما مثيرٌ للقلق والتوتُّر. فكيف لك إذن أن "تثقَ" بأنَّ المنزلَ الذي تشاركه مع قريب أو زميل يتمتَّع بالنظافة الكافية، أو أنَّ الأطعمةَ تُطهى بعناية، أو أنَّ الجيرانَ غير مزعجين؟ فالحذر واجب كما يقولون. فالطريقة المثلى للتعامل مع انعدام الثقة هي أن تكون أنت جديراً بالثقة أيضاً. فليس مقبولاً أن تتجاوزَ توقُّعاتُ الإنسان من الآخرين توقُّعاته لنفسه؛ بمعنى أنك لا تستطيع أن تتوقَّع من الآخرين ما لا تقوى أنت على تقديمه لهم. ولذا تعتبر الصراحةُ والصدقُ من أهم مقوِّمات المُشاركة الفعَّالة إذ يتصارح الجميع بشأن الإخفاقات والأخطاء المحتملة – سواء كانت عملية مشاركة بسيطة بين الجيران أو واسعة النطاق بين البلدان.

المشاركةُ في ثوبِها الجديد

شاع مفهوم المشاركة في عصرنا الحديث من خلال المكتبات العامة والجمعيات التعاونية وبعض الخدمات التي تقدِّمها مواقع مثل: "eBay" أو "Netflix". فما الداعي إذن إلى ابتكار واستثمار المزيد من أشكال المشاركة؟ من المفيد أن نلقي نظرة خاطفة على بعض اتجاهات التغيُّر الحضاري عبر القرنين الماضيين. لقد ازدادت الكثافة السكانية بشكل ملحوظ ليزداد معها استهلاكنا ومن ثم المخلَّفات والملَّوثات التي قد لا يقوى كوكبنا على استيعابها؛ الأمر الذي يتسبَّب في إفساد الحياة على الأرض وإلحاق الضرر بها يوماً بعد يوم بالمقابل فإن الثورةَ التكنولوجية التي أشاعت استخدام أجهزة الحاسوب المتنقِّلة والهواتف الذكية قد أتاحت لنا فرصة بناء وتقدُّم المجتمعات بشكل غير مسبوق.

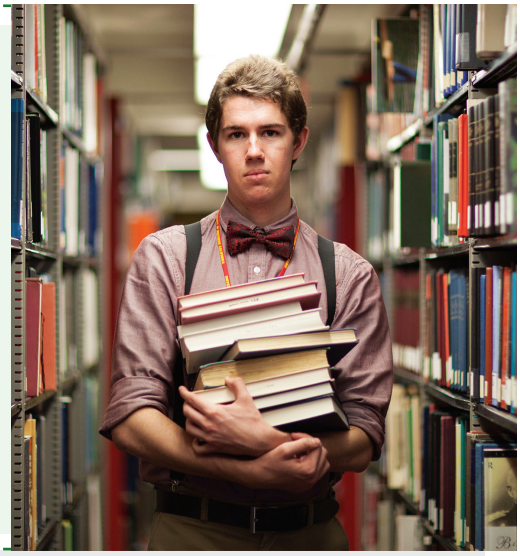

يتّضح مما سبق أنَّ المشاركة من خلال التعاون الاستهلاكي هي أهم سبيل لتعزيز ثقتنا واعتدادنا بالمجتمع ومن ثم تطوير استراتيجيات إدارته وتنظيمه. إذ يُمكِّننا الاستهلاك التعاوني من ترسيخ السلوكيات الإيجابية وعلى رأسها تحمُّل المسؤولية من قبل الفرد والجماعة. هذا في نفس الوقت الذي تُعزِّز فيه العلاقات وتُدعَم الجماعات التي تجمعها أهداف مشتركة. كما نستطيع من خلال المشاركة أن نقلِّل من حجم المخلَّفات المهدرة ونحدَّ من الاستهلاك المتهوِّر حتى مما نطلق عليه "المنتجات الخضراء" أي المنتجات الصديقة للبيئة. فمن خلال التركيز على تبادل المنافع والتوفير الجماعي نستطيع أن نقلِّص معدَّلات استهلاك الطاقة فنقلل من ظاهرة الاحتباس الحراري الضَّارة بكوكبنا. فلم لا نعيش ببساطة وندخر المال ونقدِّر الجمال ونتبنَّى السلوكيات الإيجابية بأن نغيِّر بؤرة التركيز من: أنا إلى نحن، ومن مصلحتي إلى مصلحتنا؟

المزايا المباشرة للمشاركة

١

دعم الاقتصاد المحلي من خلال:

- تحفيز المشاركة المجتمعية.
- تحفيز الإبداع وروح المبادرة.
- توزيع الثروات بشكل منصف حتَّى تصل إلى الجميع.

٢

حماية البيئة من خلال:

- تقليص حجم المخلَّفات.
- الحدِّ من استهلاك الطاقة.
- تحفيز الابتكارات الصديقة للبيئة.

٣

توفير المال من خلال:

- تخفيض حجم التكلفة وزيادة العائد بتقليل حجم المخاطرة.

أنماط المشاركـــة

لا شك أنَّنا جميعاً – خاصة من يتمتَّعون بروح المبادرة – نمرُّ بمواقف نستشعر من خلالها بأهمية المشاركة كحلٍّ لمشكلة أو مخرج من أزمة. فإن كنت تعيش في مجتمع حديث العهد بالمشاركة – أو إن كنت لم تلمس مرامي هذا المفهوم بعد – فيمكنك أن تبدأ بمتابعة وتصفُّح المواقع الإلكترونية لتكَّون رؤية شاملة عن مفهوم المشاركة وعن المجتمعات التي باتت تطبقه على نطـاق أوســع.

لا يتطلَّب الاستهلاك التعاوني أكثر من الأشياء التي تمتلكها والأفراد الذين تعرفهم بالفعل. إذ يكفي أن تكون قادراً على إجراء مكالمة هاتفية أو حضور مناسبة اجتماعية أو ترتيب اجتماع ما أو حتَّى استخدام محرِّكات البحث لتمتلك كلَّ الأدوات الضرورية لتحفيز العمل الجماعي الضروري للحدِّ من الاستهلاك وتقليص حجم المخلَّفات وترشيد استثمار الموارد؛ ثم تعتقدُ العزمَ وتتهيأ للمشاركة في واحد أو أكثر من أنماطها التالية:

◆ المشاركة الندِّية

المشاركة الندِّية هي أحد أشكال المشاركة المحلية غير الرسمية. وكما يشير الاسم تتمُّ هذه المشاركة عن طريق الأنداد أي على مستوى الأفراد بعضهم وبعض، ونظراً لبساطتها فإن جميع أشكال المشاركة قابلة للتطبيق على هذا المستوى.

يُفَعَّل هذا النوع من المشاركة بالتبادل المباشر للخدمات والمنافع بين فرد وآخر أو بين فرد ومجموعة أفراد. لكن هذه المشاركة تختلف عن المشاركة عبر أحد نظم أو نماذج الأعمال حيث يكون الشيء محل المشاركة مملوكاً لشخص أو جزءاً من كيان إداري يديره عدد محدود من الأفراد. وقد تأتي المشاركة الندِّية من مجموعة من الأفراد الذين يستجمعون مواردهم بهدف إضافة قيمة عظيمة يمكن مشاركتها على نطاق أوسع – مثل اشتراك بعض الجيران في إنشاء حديقة في الحي ليفيد منها جميع الساكنين والعابرين.

◆ المشاركة الندِّية الشبكية

هنا تعمل مواقع التواصل الاجتماعي كهمزة وصل بين الأفراد من جميع أنحاء العالم – الأمر الذي يسهِّل قيام مجتمعات من أشخاص لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا يلتقون أبداً. فقد أتاحت خدمات القائمة المشاركة الشبكية فرصاً غير معهودة للمقايضة، وتبادل الخبرات والمعارف بين مختلف الشخصيات والمنظمات والمجتمعات ذات الخلفيات الثقافية المتنوعة. وأهم ما يميِّز هذا النوع من المشاركة هو انخفاض بل وغياب احتمالات المخاطرة.

◆ المشاركة المهنية

تتمتَّع الشركات المحلية – لا سيَّما الشركات الصغيرة والمتوسِّطة – بقدرة على المشاركة تتفوَّق على كل ما عداها فلا تقتصر المشاركة هنا على الشركات وأعضاء المجتمع من خلال الخدمات والمنتجات بل يمكن أن تقوم على تأسيس مجتمعات متكاملة بين الشركات بعضها وبعض. إذ تستطيع هذه الشركات تأسيس منظومات عمل قائمة على التبادل بين الأفراد أو بين الشركات وعملائها. وهنا تقدِّم إحدى الشركات نموذجاً حياً لهذا النمط إذ توفِّر أسطولاً من السيارات المخصَّصة للمشاركة بين العملاء بدلاً من التأجير وذلك مقابل اشتراك شهري أو سنوي. كما يمكن لنماذج الأعمال الربحية أن تجد لنفسها مكاناً في عالم المشاركة. وتعتبر أسواق المقايضة التجارية المنتشرة في جميع أنحاء العالم من أبرز نماذج المشاركة المهنية الفعالة إذ تتبادل هذه الأسواق الصفقات فيما بينها دون الاعتماد على نظام الدفع بالعملات مقابل الحصول على المنتجات.

سمات المشارك الناجح

رغم أن المشاركة ليست سلوكاً اجتماعياً جديداً إلا أن تبنِّيها أمرٌ ينطوي على الكثير من التحفُّظات. فلكي تكون مواطناً صالحاً ومؤثِّراً في مجتمع المشاركة الحقيقية لا بدَّ أن تتمتَّع بروح المغامرة وشغف المبادرة من ناحية وبالمرونة من ناحية أخرى لكي تتفاعل وتتعامل مع احتياجات الآخرين. فأنت لا تستطيع أن تدير ظهرك للصعاب حينما يُطلبُ منك أن تتصدَّى لأزمة تواجه مجتمعك. المشاركون المُفلِحون هم من يتصدَّرون الصفوف الأولى ويبتكرون أساليبَ جديدةً للمشاركة التي يوفرونها للمجتمع. هؤلاء المشاركون الإيجابيون لا يحفلون كثيراً بالنتائج الفردية بقدر ما يأبهون بالمحاولة والمشاركة الجماعية في حدِّ ذاتها.

وهناك مبدأ أو قاعدة ذهبية تتصدَّر كلَّ ممارسات المشاركة المحلِّية والعالمية تقول: "لا تشارك الآخرين في شيء أنت لست مستعداً لاقتراضه أو شرائه، ولا تبالغ في استغلال موارد الآخرين في أي شيء قد يحتاجون إلى بيعه أو شرائه". وتذكَّر دائماً أنَّك كما تُدين .. تُدان. فمهما تزايدت أعداد المستهترين بنظام المشاركة أو متخذي القرارات غير المسؤولة فإن نسبتها ستبقى محدودة مقارنة بمن يطَّبقون قول الشاعر "الحطيئة":

"من يفعل الخير لا يعدم جوازيه .. لا يذهب العرف بين الله والناس".

العناصر القابلة للمشاركـــة

١- السلع

تتشابه مشاركة البضائع إلى حدٍّ كبير مع أحد المفاهيم الشائعة في عصرنا الحديث "التبرُّعات". وبما أنَّ المشاركة تهدف إلى إطالة دورة الحياة الخاصة بخدمة أو سلعة عبر انتقالها من يد إلى أخرى، ومواصلة استخدامها فمن واجبنا أن نختار نمط المشاركة الأنسب والذي يسمح باستمرار هذه الدورة لأطول فترة ممكنة. كما أنَّ اختيار المستخدم الأمثل – أي من هو في أمسِّ الحاجة إليها الآن - لا يقلُّ أهمية عن اختيار نمط المشاركة. وتعتبر "المبادلة" أقصر الطرق لإدراك هذا وذاك.

تتمُّ المبادلة إمَّا عن طريق التواصل المباشر – وجهاً لوجه – أو التواصل الإلكتروني. ولكي تتبادل على أكمل وجه لا بد أن تفصح أولاً عما تمتلكه وما تحتاجه في المقابل.

تدرك مواقع المبادلة الإلكترونية أنَّه من الصعب أن تتصادف الاحتياجات ومن هذا المنطلق تجدهم يمنحون النقاط للمستخدمين نظير كل عنصر يطرحونه للتبادل. وتمكنهم هذه النقاط فيما بعد من الحصول على شيء ما من مستخدم آخر متى وكيفما أردوا. وأيَّاً كانت الطريقة التي تختارها تذكَّر أنَّ "المبادلة" هي مجرَّد مصطلح رمزي للعطاء الهادف والمُنظَّم.

٢- المهارات / الوقت

تعتبر مشاركة الوقت والمعرفة والمهارات من أهم مقوِّمات الاستهلاك التعاوني. فحين يتقاسم الأفراد وقتهم تُطوَّر المهارات وتُصنع الفرص وتُوطَّد العلاقات ويتحقَّق الاكتفاء الذاتي. ومع مرور الوقت نستعيد القيم التي فقدناها في خضم انهماكنا بالشراء والاستحواذ. ولا يشترط أن تكون خبيراً مخضرماً كي ينهل الآخرون من نبع معرفتك فالمشاركة هدف في حدِّ ذاتها.

حتَّى وإن لم تمتلك من المهارات ما يميِّزك ويؤهِّلك للمشاركة يكفيك أن تشارك الآخرين أهم مواردك "وقتك الثمين"، فالوقت من ذهب كما يقولون. الوقت الجماعي الموجَّه للصالح الاجتماعي يُحَوِّل الوقتَ إلى أسهم يمكن مقايضتها بالأشياء والخدمات. فالأعمال الجماعية و"شبكات الإنجاز" – التي تقوم على مجموعة من المتطوِّعين بوقتهم وخبرتهم – يُمَكِّنَان الجيران من استعانة بعضهم ببعض لإنجاز الإصلاحات المنزلية والمهمات الاجتماعية التي تتطلب استدعاء عمال فنيين أو متخصِّصين لإتمامها. ومن ثمَّ نستطيع من خلال مشاركة الوقت أن نستعيضَ عن السيارات الأربع أو الخمس التي نستخدمها عادة في رحلة جماعية، بسيارتن أو ثلاث على أقصى تقدير؛ الأمر الذي يوفِّر المال ويقلل التلوث، ويصبُّ في النهاية في مصلحة المجتمع.

٣- السكن

يمكن لمشاركة السكن أن تتمَّ بشكل دائم أو شبه دائم أو مؤقَّت. ويحبِّذ بعض الناس الإقامة المؤقَّتة باعتبارها بديلاً للطرق التقليدية السائدة. ويتخذ آخرون من مشاركة السكن أسلوباً دائماً للتعايش عبر مجتمعات الإسكان المشترك.

الإسكان المشترك

إن كنت من المحبِّذين للإقامة المشتركة وتودُّ أن تفيد من مزاياها إلى أقصى حدٍّ ممكن فمن الجيِّد أن تضع في اعتبارك مفهوم الإسكان المشترك.

يعيش القاطنون ضمن مجتمعات الإسكان المشترك في نُزُلٍ منفصلة، ولكن تجمعهم وحدة النطاق واتخاذ القرار ومسؤولية الصيانة والإصلاحات. وتعتبر المناسبات والأنشطة الاجتماعية من أهمِّ مقوِّمات هذه المجتمعات؛ فلا عجب إذن أن تجمع قاطنيها علاقات وطيدة فيؤسِّسون مجتمعات مصغَّرة قائمة على المشاركة. في هذه المجمعات التكاملية يتمُّ التصويت على القرارات بشكل علني وعادل يتيح لجميع أعضاء المجتمع المشاركة في اتخاذها وبالطبع تنفيذها. أما السكن المشترك – أي أن يتقاسم أكثر من فرد السكن ذاته – فيزداد اعتماد الأفراد عليه يوماً تلو الآخر ومن أشهر أمثلته مساكن الطلاب.

٤- المواصلات

تخيَّل أنك لم تعد بحاجة إلى تكبُّد عناء وتكاليف شراء سيارة وأن تكتفي بالدفع مقابل الساعات المحدَّدة التي تحتاج فيها إلى من يُقلُّك إلى مكان ما. ذلك هو جوهر مشاركة وسائل المواصلات والتي أصبحت متاحة على أوسع نطاق بفضل الخدمات التي تقدِّمها بعض شركات النقل الخاصة والحكومية أو بعض الأفراد الذي ينظمون مثل هذه المشاركات فيما بينهم.

كي تتجنَّب المشاركة الفاشلة

- ادرس الخدمات التي تدعم المشاركة جيداً قبل أن تنضَّم إليها.
- شارك في الخدمات التي تُوَّفر بيانات شخصية كاملة عن كلِّ عضو من أعضائها.
- تمسَّك بإبرام اتفاقيات وعقود مكتوبة.
- اطَّلع على القوانين المحلية قبل الانضمام إلى إحدى الخدمات التعاونية.
- لا تشارك في الأشياء الأثيرة والعزيزة عليك والتي قد تولِّد بداخلك ألماً أو غضباً من مستخدميها.

٥- الطعام

لا تقتصر مشاركة الطعام على منح الأطعمة الغذائية للمحتاجين وإنَّما يتمُّ هذا النوع من المشاركة على أكثر من مستوى – بدايةً من الإنتاج والتصنيع وحتَّى الاستهلاك. مشاركة الطعام في جوهرها تتعلَّق بالتوزيع وليس بالطعام في حدِّ ذاته. وإنَّما أيضاً بالوقت والقيمة والتكلفة التي تترَّتب على إنتاجه وتحضيره ونقله. وكلَّما تمت هذه العملية على نطاق محلي – في مقابل نقلها عبر آلاف الأميال – كان لذلك أثر كبير في دعم الاقتصاد من خلال تأسيس بنك طعام محلي واسع النطاق.

٦- الحيِّز والمكان

تعتبر المساحة والحيِّز من أفضل النماذج التي يمكن إثراء المجتمع من خلالها وتقليص ضغوطنا وأثرها السلبي على البيئة، ومن دون التنازل عن أملاكنا أو مقايضة أي شيء. ويمكن للمساحات المكانية أن تخضع للمشاركة بأكثر من صورة بدايةً من مبنى بأكمله ووصولاً إلى غرفة فردية أو حتَّى سرير صغير. ففي الوقت الذي لا تقوى فيه معظم الشركات المبتدئة على تحمُّل نفقة شراء أو تأجير مكان كبير، يشكِّل "العمل المشترك" – أي اشتراك أكثر من شخص في مكان عمل واحد – البديل الأمثل، إذ يستطيع أصحاب الأعمال الحرة أن يستثمروا هذا الحيِّز في استقبال العملاء والزبائن، والتعاون مع من يتقاسمون معهم مساحات المكان بشكل مُثمر.

العمل المشترك

يُستخدم مصطلحُ العمل المشترك في وصف بيئات العمل الجماعية المرنة والتي تقدم خدماتها لرجال الأعمال المغتربين أو المسافرين والموظفين المستقلِّين، وأصحاب الأعمال الحرَّة من كل حدبٍ وصوب. وهناك عدد من الشبكات الإلكترونية التي توفر ميزة المشاركة في مثل هذه البيئات في مختلف أنحاء العالم، مثل:

wiki.coworking.com / Liquidspace.com / DesksNear.Me / OpenDesks.com / DeskSurfing.net / DeskWanted.com

فإن كان لديك حيز قابل للمشاركة يمكنك أن تُعلن عنه عبر هذه المواقع مبيِّنًا كلَّ ما يلزم من تفاصيل من موقع ومساحة وتكاليف.

مساحات العباقرة

هل لديك شغف عميق تجاه التكنولوجيا الحديثة؟ هل تهوى استكشاف الأشياء وتفكيكها وتجميعها من جديد؟ هل تودُّ المشاركة في عمل إبداعي مبتكر؟ كلُّ ذلك وأكثر توفِّره لك "فضاءات العباقرة" وهي أماكن أو ورش عمل تتمُّ إدارتها وتشغيلها بواسطة أفراد من المجتمع تجمعهم الهوايات والاهتمامات المشتركة – لا سيما في مجالات الحاسوب والتكنولوجيا، والتصنيع والبحث العلمي والتجريب والفنون الرقمية والإلكترونية المختلفة؛ ليتبادلوا الخبرات والمعارف والمعدَّات، ويتعاونوا لإنجاز مشروعات مشتركة.

٧- المال

بعض من يسمعون بالمشاركة التعاونية يفترضون أنَّ مشاركة المال تعني التنازل عنه تماماً، ومن دون مقابل. إلا أنَّ هذا الافتراض ليس صحيحاً. فالمشاركة بالمال تعني توفيره لمن يحتاجه في الوقت المناسب وبما يعود بالنفع على الجميع ويحقِّق مصالح مشتركة. إلا أنَّ هناك بعض أشكال المشاركة بالمال التي يتنازل فيها الفرد عن عن بعض ماله مقابل هدف أسمى – كالتبرُّع لصالح الجمعيات الخيرية مثلاً.

الإقراض المُصَغَّر

الإقراض المصغَّر أو التمويل المبسَّط يعني التوسُّع في منح القروض الصغيرة إلى شريحة من المقترضين الذين لا يتمتعون بوظيفة ثابتة أو أرصدة مالية، ولم يسبق لهم التعامل مع البنوك بالاقتراض والتمويل الائتماني. وتعتبر القروض المهنية التي لا تتجاوز ألف دولار من أكثر الخدمات التي تقدِّمها مؤسَّسات التمويل المصغَّر شيوعاً.

اقتصـــاد المشاركـــــة الجديد

عندما ركَّزت الأصوات المنادية باقتصاد المشاركة على كيفية وآليات بناء وصياغة الاستهلاك التعاوني بما ينسجم مع الفكر الاقتصادي المعاصر والرد على المشككِّين في فحواه وجدواه؛ ساد اعتقاد بأنَّ هذا التوَّجُه التعاوني ليس مجَّرد نزعة أو نزوة عابرة. ففي اقتصاد المشاركة إحياء لمفهوم قديم وهو تصوُّر جديدٌ لحلولٍ قديمة بهدف مواكبة التطوُّر السريع الذي يشهده عصرنا. إذ يدفعنا الاستهلاك التعاوني نحو التوسُّع في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي للتعاون في تقليص المخاطر ومضاعفة المشاركة. وبمساعدة المبادئ الفطرية التي نشأنا عليها يعيد اقتصاد المشاركة صياغة مفهومنا عن المواطنة في مجتمع متلاحم ومتكافل وعن دورنا كمواطنين عالميين على المستوى الإنساني.

ومهما تعدَّدت المصطلحات التي نستخدمها للإشارة إلى الاستهلاك التعاوني فهو حقيقة وأمر واقع من شأنه أن يغيِّر المعايير القديمة المتعلقة بالنجاح الوظيفي والثروة الشخصية والمواطنة والتلاحم المجتمعي ويستبدل بها معاييرَ أكثر واقعية وفاعلية. فالمشاركة تطرح معنىً جديداً للقيمة لا يرتبط بالعملة ورأس المال، بقدر ما يرتبط بمدى قدرة كل فرد في المجتمع على إثراء حياتنا ودفعها نحو الأفضل.

عندما ننظر عن كثب عبر عدسة الاستهلاك التعاوني يتضح لنا كيف أنَّ الوفرة وليس الندرة، والعطاء وليس الاستحواذ هو ما يلبِّي احتياجاتنا ويُشبع رغباتنا. فحتَّى وإن لم تأتِ المشاركة بالطرق الحديثة وعبر الشبكات الإلكترونية واسعة النطاق؛ فإنَّ هذا لا يقلِّل من شأنها ولا يتعارض مع نبل جوهرها. فهي بمثابة رؤية مبكِّرة لما يمكن ولما ينبغي أن يكون عليه كوكبنا إذا تخلَّصنا من أنماط الاستهلاك المفرط، وتحوَّلنا إلى الاستهلاك الرشيد وإعادة التدويروتكامل التشغيل. فالأمر لا يتوقف عند "مقايضة" ملابسنا القديمة بأخرى جديدة أو تبادل السيارات؛ بل هو طفرة جذرية وشاملة ومتكاملة في آليات إنتاجنا وأدوات استهلاكنا وإدارتنا لثرواتنا المعنوية والمادية من أجل خير مجتمعنا وخير البشرية جمعاء.

المؤلفة:

بيث بوزينسكي: مؤلفة متخصِّصة في التكنولوجيا النظيفة، والموارد المتجدِّدة، والبيئات الوفيرة.

كتب مشابهة:

1. **What's Mine Is Yours**
   The Rise of Collaborative Consumption.
   By Rachel Botsman & Roo Rogers. 2010.

2. **The Mesh**
   Why the Future of Business Is Sharing.
   By Lisa Gansky. 2010.

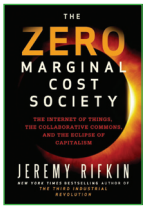

3. **The Zero Marginal Cost Society**
   The Internet of Things, the Collaborative Commons.
   By Jeremy Rifkin. 2014.

" إِنَّ الْقَلَمَ وَالْمَعْرِفَةَ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَيِّ قُوَّةٍ أُخْرَى "

صَاحِبُ السُّمُوّ الشَّيْخُ مُحَمَّد بِن رَاشِد آل مَكْتُوم

بِهَذِهِ الْمَقُولَةِ يُرْسِي سُمُوُّه دَعَائِمَ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ وَقِوَامُهَا الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَهُمَا رَكَائِزُ التَّطَوُّرِ الَّذِي انْطَلَقَتْ مِنْ أَجْلِهِ مُؤَسَّسَةُ مُحَمَّد بِن رَاشِد آل مَكْتُوم، وَالْهَادِفَةُ إِلَى نَشْرِ الْمَعْرِفَةِ وَتَعْزِيزِ ثَقَافَةِ الْإِبْدَاعِ وَالِابْتِكَارِ فِي نُفُوسِ الشَّبَابِ بِغَرَضِ إِيجَادِ مُجْتَمَعَاتٍ عَرَبِيَّةٍ رَكِيزَتُهَا الْمَعْرِفَةُ وَطَرِيقُهَا التَّنْمِيَةُ وَغَايَتُهَا الِازْدِهَارُ وَالرَّخَاءُ.

إِنَّ الْمُبَادَرَاتِ وَالْبَرَامِجَ الَّتِي أَطْلَقَتْهَا مُؤَسَّسَةُ مُحَمَّد بِن رَاشِد آل مَكْتُوم تَهْدِفُ جَمِيعُهَا إِلَى بِنَاءِ مُجْتَمَعَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى اقْتِصَادِ الْمَعْرِفَةِ، سَوَاءً مِنْ خِلَالِ إِثْرَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ بِالْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ ، أَوْ دَعْمِ وَتَمْكِينِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْزِيزِ مَكَانَتِهَا لَدَى الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ ، وَكَذَلِكَ عَبْرَ عَرْضِ النِّتَاجِ الْفِكْرِيِّ لِلْحَضَارَاتِ وَالثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى تَأْهِيلِ وَإِعْدَادِ جِيلٍ مِنَ الْمُبْدِعِينَ قَادِرٍ عَلَى دَفْعِ الْأُمَّةِ لِلِّحَاقِ بِالتَّطَوُّرِ الْعَالَمِيِّ.

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM FOUNDATION

MBRF_News MBRF_News mbrf.ae www.mbrf.ae